أدب القضاء عند الحنابلة
وكتاب اعلام الموقعين أنموذجاً

✍ إعداد الباحث
أحمد بن علي الفيفي
ضابط بوزارة الدفاع ـ كلية الدراسات القضائيه – دكتوراه
جامعة الملك عبد العزيز – الرياض - السعودية
Ahmedemha@hotmail.com

أدب القضاء عند الحنابلة وكتاب اعلام الموقعين أنموذجاً

أحمد بن علي الفيفي
قسم الشريعة – كلية الدراسات القضائيه – جامعة الملك عبد العزيز – الرياض – السعودية.
البريد الاليكتروني : Ahmedemha@hotmail.com

المستخلص :

يَعْتَني فقهاء المذهب الحنبلي بإفراد القضاء، وآدابه وبيِّناته بمؤلفات خاصة كغيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى السالف ذكرها، وهذا يرجع إلى سببين رئيسين، هما: اكتفاء فقهاء المذهب بما دَوَّنُوه في كتب الفروع الفقهيَّة من أبواب خاصة بالقضاء وآدابه وبيناته، فقد تناولوا هذه المسائل بوضوح وبيان في كتبهم الفقهيَّة أن المذهب الحنبلي لم يكن مذهباً رسميًّا للدولة في العصور السالفة إلا عند ظهور الدولة السعوديَّة الأولى في الجزيرة العربيَّة عام ١١٥٧هـ، ولا زال الأمر كذلك في الدولة السعوديَّة في جميع أدوارها حتى الآن بينما كان للمذاهب الثلاثة دور سياسي.ويتناول البحث كذلك كتاب "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، للإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) من حيث مؤلفه، ومنهجه في تأليفه لهذا الكتاب العظيم، والذي جعل كثيراً من العلماء قديماً وحديثاً يولونه الاهتمام والعناية ، حتى إنهم قد تنوعت مشاربهم في تناول هذا الكتاب، وفي إدراجه تحت أي علم من العلوم، وما ذلك إلا لتنوع وتفرع مسائله، وغزارة مادته،وتنوع موضوعاته، وت نتاول الكتاب من خلال المطالب . نبذة مختصرة عن المؤلف من ناحية : اسمه، ونسبه، ووفاته، ومكانته العلمية المرموقة، وهل ولي العلامة ابن القيم القضاء، حتى يبرز في هذا المجال، وكيف كانت حياته العلمية، ومن هم شيوخه وتلاميذه، ثم يعرج بذكر بعض كتبه، والتي كان لها الشهرة الكبيرة، وأخذت المكانة العظيمة ثم يتناول منهجه في الاستنباط وتعليل الأحكام

ومنهجه في عرض أقوال العلماء والمذاهب وذكر الخلاف الفقهي ومنهجه في عرض الأدلة ومنهجه في ذكر التطبيقات القضائية وأبرز ما امتاز به الكتاب حيث يعتبر من أجل مؤلفات ابن القيم و أهمها وأول كتاب من نوعه في أصول التشريع وأسراره، وبيان مذاهب السلف في الفتوى والاجتهاد، والتعريف بأعيان المفتين من الصحابة والتابعين وما فيه من استقراء غرائب المسائل، ولطائف الأبواب في الفقه وأصوله.

الكلمات المفتاحية: أداب القضاء- الحنابلة – إعلام الموقعين -كتب القضاء – التدوين .

Literature of the judiciary at the Hanbali and the book informing the signatories as an example

Ahmed bin Ali Al-Fifi
Department of Sharia - College of Judicial Studies - King Abdulaziz University - Riyadh - Saudi Arabia.
Email:

Abstract:

The Hanbali jurists take care of the individual judiciary، its manners and its evidence with special literature like other scholars of the other schools of thought mentioned above، and this is due to two main reasons: the sufficiency of the jurists of the doctrine in what they wrote in the books of the juristic branches from the chapters on the judiciary and its literature and evidence، they have dealt with these issues clearly and clearly Jurisprudential books wrote that the Hanbali school of thought was not an official doctrine of the state in the previous ages، except when the first Saudi state emerged in the Arabian Peninsula in 1157 A.H. And the matter remains so in the Saudi state in all its roles until now while the three schools of thought had a political role. The research also includes the book "Informing the Signatories on the Lord of the Worlds"، by Imam Ibn Al-Qayyim (d. 751 AH) in terms of his author، and his method of writing this great book، which made many ancient and modern scholars pay attention and care، so that they have diversified their paths in dealing with this book And in its inclusion under any science، and that is only for the diversity and branching of its issues، the abundance of its material، the diversity of its subjects، and we approach the book through the demands.

A brief summary about the author on the one hand: his

name، lineage، his death، and his distinguished scientific standing. Is the guardian of the mark Ibn al-Qayyim the judiciary، so that he appears in this field، and how was his scientific life، who are his elders and his disciples، and then limp by mentioning some of his books، which had fame The great، and took the great position، then deals with his method of deduction and explanation of rulings and his method in presenting the sayings of scholars and doctrines and mentioning the jurisprudential dispute and his approach to the presentation of evidence and his method in mentioning judicial applications and the most prominent characteristic of the book where it is considered for the books of Ibn Al-Qayyim and the most important and the first book of its kind in the origins Legislation and its secrets، and the doctrines of the predecessors in the Fatwa، ijtihad، and introducing the notables of the muftis from the companions and the followers، and the extrapolation of the strange things، and the chapters of chapters in jurisprudence and its origins.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد:

فإن من مقاصد بعثة الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام –: إقامة العدل والحكم بين المتخاصمين، وجُعل القضاء من أول مهمات الرسل، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيرَ فِي كَثِير مِّن نَّجوَىٰهُم إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعرُوفٍ أَو إِصلَٰحِ بَينَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفعَل ذَٰلِكَ بتِغَآءَ مَرضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيما ﴾**[النساء:١١٤] ، وقد امتدح النبي ﷺ القضاة العادلين المقسطين وبشرهم بالقرب من الله سبحانه يوم القيامة، فقال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(١).**

وإن القضاء علامة من علامات نجاح الأمم وتطورها، وسبب من أسباب أمنها واستقرارها لأنه ملاذ الناس لتحقيق العدالة، والفصل في حل النزاعات،

(١) أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، في صحيحه ، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٧) : ١٤٥٨/٣.

والحكم بين المتخاصمين، وقد أولى الإسلام جانب القضاء أهمية كبرى، وأضفى عليه الهيبة والاحترام.

ولذا كان علم القضاء من أشرف العلوم، لاتصاله بالحقوق التي أمر الله بأن توصل لأصحابها، وإيصال الحقوق لأصحابها مما أعلى الله ذكره، وشرف أمره، وأعظم أجره.

ولقد شهدت المدارس الفقهية الإسلامية تطوراً كبيراً في التأليف الفقهي عموماً والقضائي خصوصاً، سواءً ما كان تأليفاً شاملاً لمباحث القضاء، أو ما اقتصر على بعض الجزئيات اللي عناها الفقيه بالتأليف لهدف عنده قد يُبين عنه وقد يفهم من خلال قراءة الكتاب.

وقد تباينت مشارب الفقهاء في الحديث عن القضاء، وتعددت مناهجهم، مما قد يعود لاختلاف المدارس الفقهية من ناحية، أو من اختلاف العصر من ناحية أخرى.

وسأخذ في هذا البحث المختصر التآليف في المذهب الحنبلي، وكتاب اعلام الموقعين انموذجاً.

وصلى الله على نبينا محمد.

المبحث الأول : نبذه مختصرة عن كتب القضاء في المذهب الحنبلي:

لم أجد في علماء الحنابلة من اهتم بالتدوين في أدب القضاء على وجه الاستقلال ولعلهم اكتفوا بما في مدونات الفقه ويمكن أن يندرج في هذا الباب بعض الكتب التي دونت للحديث عن القضاء والحكم على ما سيأتي.

الفرع الأول: كتب القضاء في المذهب الحنبلي:

ممن اعتنى بهذا الموضوع والتأليف فيه ابن القيم –رحمه الله– ولذا سوف نتناول كتابين له بالبحث والدراسة تعتبر من أهم كتبه في هذا الباب، بالإضافة الى كتاب مرعي الكرمي –رحمهم الله – ومن كتب المذهب الحنبلي ما يلي :

١– أدب القضاء للخلال:

لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي (ت: ٣١١هـ)[(١)].

٢– السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية :

لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الحنبلي (ت:٧٢٨هـ)[(٢)].

٣– إعلام الموقعين :

٤– الطرق الحكميَّة في السياسة الشرعيَّة:

كلاهما للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (٧٥١هـ)[(٣)]. وسيأتيان في الدراسة.

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء :٥٣٠/١٢ ، تاريخ بغداد : ٣١٨/٩.

(٢) انظر : كشف الظنون : ١٠١١/٢ ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، بتحقيق الدكتور عبدالله التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ : ٩/١٨ ، أبجد العلوم :٣٣٠/٢.

(٣) انظر : الدرر الكامنة : ١٣٤/٥، كشف الظنون : ١٢٥/١ ، الفوائد : ٢٣.

٥- دليل الحكام في الوصول الى دار السلام:
للإمام مرعي الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ) [١].وسيأتي.
٦- الفتح الجلي في القضاء الحنبلي:
لمحمد جميل أفندي الشطي (ت: ١٣٧٩هـ)[٢]، وهو متأخر، وفيه تراجم لقضاة محاكم دمشق الحنابلة ابتداءً من الموفق ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) إلى مُؤَلِّفه[٣].

الفرع الثاني: ما تميزت به كتب القضاء في المذهب الحنبلي.
لم يَعْتَنِ فقهاء المذهب الحنبلي بإفراد القضاء،وآدابه وبيِّناته بمؤلفات خاصة كغيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى السالف ذكرها، وهذا يرجع إلى سببين رئيسين، هما:

(١) انظر : هدية العارفين : ٤٧١/٣ ، إيضاح المكنون: ١/ ٤٧٨، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل [من سنة ٩٠١ - ١٢٠٧ هـ] ، لمحمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري (ت: ١٢١٤ هـ) ، تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ - نزار أباظة ، دار الفكر، دمشق — سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ : ١٩٣، ومختصر طبقات الحنابلة ، للشيخ محمد جميل البغدادي المعروف بابن الشطي ، دراسة فواز الزمرلي ، دار الكتاب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، بيروت :ص١١٠.
(٢) انظر : الأعلام : ٧٣/٦ ، الفتح الجلي في القضاء الحنبلي ، لمحمد جميل الشطي ، دار المقتبس ١٤٣٦هـ ، دمشق —بيروت : ص٧٦.
(٣) انظر : تاريخ القضاء في الإسلام ، لمحمود بن محمد عرنوس ، المكتبة الأزهرية للتراث ، الجزيرة للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م :٦، المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب ، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ) ، دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ :١ /٤٤١.

١- اكتفاء فقهاء المذهب بما دَوَّنُوه في كتب الفروع الفقهيَّة من أبواب خاصة بالقضاء وآدابه وبيناته، فقد تناولوا هذه المسائل بوضوح وبيان في كتبهم الفقهيَّة.

٢- أن المذهب الحنبلي لم يكن مذهباً رسميًّا للدولة في العصور السالفة إلا عند ظهور الدولة السعوديَّة الأولى في الجزيرة العربيَّة عام ١١٥٧هـ، ولا زال الأمر كذلك في الدولة السعوديَّة في جميع أدوارها حتى الآن.

بينما كان للمذاهب الثلاثة دور سياسي كما سلف ذكره عند بيان المؤلفات المطبوعة في كل مذهب[١]

(١) انظر : مفاتيح الفقه الحنبلي ، للدكتور سالم الثقفي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ : ٢ /٤٣٩.

المبحث الثاني : منهج الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في كتابه " إعلام الموقعين أنموذجاً

وفي هذا المبحث سنتناول كتاب "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، من حيث مؤلفه، ومنهجه في تأليفه لهذا الكتاب العظيم، والذي جعل كثيراً من العلماء قديماً وحديثاً يولونه الاهتمام والعناية ، حتى إنهم قد تنوعت مشاربهم في تناول هذا الكتاب، وفي إدراجه تحت أي علم من العلوم، وما ذلك إلا لتنوع وتفرع مسائله، وغزارة مادته،وتنوع موضوعاته، وسنتناول الكتاب من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن المؤلف [1]:

والحديث في هذا المطلب عن المؤلف من ناحية : اسمه، ونسبه، ووفاته، ومكانته العلمية المرموقة، وهل ولي العلامة ابن القيم القضاء، حتى يبرز في هذا المجال، وكيف كانت حياته العلمية، ومن هم شيوخه وتلاميذه، ثم سنعرج بذكر بعض كتبه، والتي كان لها الشهرة الكبيرة، وأخذت المكانة العظيمة.

الفرع الأول: اسمه ونسبه ووفاته.

- **اسمه ونسبه : هو: أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي، زين الدين، الزرعي الأصل ، ثم**

(١) انظر ترجمة ابن القيم في: العبر : ٥٥/٤ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٣٤/١٤-٢٣٥، أعيان العصر وأعوان النصر ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: د. علي أبو زيد وآخرين، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط١، ١٤١٨هـ : ٣٦٦/٤ ، الوفيات ، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس ود. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٢هـ، : ٣٠٣/٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٠/٥ ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : ٣٤٨/٢ ، "طبقات المفسرين"، محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية ببيروت: ٩٣/٢ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ١٤٣/٢ ، الأعلام للزركلي : ٥٦/٦ ، ابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده ، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٣هـ، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها ، جمال بن محمد السيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م : ٨١/١ – ١٣٣.

الدمشقي، الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية. وُلِدَ –رحمه الله– في السابع من شهر صفر في سنة (٦٩١هـ) [١].

واشتهر والده[٢] **بلقب (قيم الجوزية)؛ وذلك لأنه كان قيِّمًا على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، فقيل له (قيم الجوزية)، واشتهرت به ذريته،وحفدتهم من بعد ذلك.والقيم في اللغة: الشخص السائس للأمر، وقيِّم القوم: الذي يقوِّمهم ويسوس أمرَهم**[٣].

وقيِّم الجوزية : هو الناظر والوصي على المدرسة الجوزية، وهذا من الشرف الذي حازه والد ابن القيم – رحمه الله –، وهو أن تولى إدارة المدرسة التي كان لها دور فعال في ذلك الزمن بين المدارس، وهي من أعظم المدارس بدمشق في الشام.

والجوزية : نسبة لواقفها ابن الجوزي[٤] **– رحمه الله –، ولا يزال محلها معروفًا إلى الآن بدمشق، في حي البزورية ، وقد بين جماعة من المؤرخين**

(١) انظر: الوافي بالوفيات : ١٩٥/٢.

(٢) الشيخ العابد، أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية، كان رجلًا صالحًا متعبدًا قليل التكلف، وكان فاضلًا، توفي فجأة ليلة الأحد سابع عشر ذي الحجة بالمدرسة الجوزية، وصلي عليه بعد الظهر بالجامع، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة، وأثنى عليه الناس خيرًا، رحمه الله. انظر: البداية والنهاية : ١٢٦/١٤.

(٣) انظر: لسان العرب : ٥٠٢/١٢.

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده سنة ٥٠٨هـ، ووفاته سنة ٥٩٧هـ ببغداد، له نحو ثلاث مئة مصنف، انظر: سير أعلام النبلاء : ٣٥٢/٢٢ ، الوافي بالوفيات : ١٠٩/١٨ ، المقصد الأرشد : ٩٣/٢ ، الأعلام للزركلي : ٣١٦/٣.

الأدوار التي مرت على مبنى هذه المدرسة الإسلامية والوقف الخيري[١].

وقد درج عامة المتأخرين على تلقيب الإمام بـ (ابن القيم) على سبيل التجوز والاختصار، وهو اليوم أكثر انتشارًا من غيره من الألقاب.

ولقد كان لأهل بيت الإمام ابن القيم – رحمه الله – قدم صدق في خدمة العلم، ونباهة الشأن، ومنهم:

- **والده: كان قيِّما لمدرسة الجوزية.**
- **أخوه : زين الدين[٢] من أفاضل طلاب العلم، وقد شاركه الطلب إذ كان يصغره بسنتين.**
- **أبناؤه:**

١. جمال الدين عبدالله[٣].

٢. وبرهان الدين إبراهيم[٤].

---

(١) انظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ٢٢٧/١.

(٢) زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز بن مكي، الزرعي ثم الدمشقي، وصلي عليه من الغد بجامع دمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير، سنة ٧٦٩هـ، انظر: المقصد الأرشد : ٨٣/٢.

(٣) عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية، ولد سنة ٧٢٣هـ، وصلى بالقرآن سنة ٧٣١هـ، واشتغل على أبيه، وغيره، وكان مفرط الذكاء حفظ سورة الأعراف في يومين، كان أعجوبة زمانه مات في شعبان سنة ٧٥٦هـ، انظر: "المقصد الأرشد" : ٥٧/٢.

(٤) برهان الدين، إبراهيم بن العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الحنبلي، تفقه بأبيه، وشارك في العربية، وسمع وقرأ، وتنبه، وأسمعه أبوه بالحجاز، وطلب بنفسه، ودرس بالصدرية والتدمرية، وله تصدير بجامع الأموي، وشرح ألفية ابن مالك، توفي سنة(٧٦٧هـ) ، انظر: المقصد الأرشد : ٢٣٥/١.

و كانا من أبرز طلابه يوم حياته، ومن أفاضل العلماء بعده.

- **أخوه: زين الدين عبدالرحمن[١].**

وإذا تبين فضل آل ابن القيم – رحمهم الله –؛ علمنا البيت الذي كان يتقلب في رحابه من دار أسرته الكريمة، إلى المدرسة الجوزية ببيئة دمشق التي كانت تعج بعشرات المدارس والجوامع آنذاك، وفيها من الدروس المفتوحة لكل طالب وسامع.

- **وفاته:توفي – رحمه الله – وقت أذان العشاء، ليلة الخميس، الثالث عشر من شهر رجب، سنة (٧٥١هـ)، وهو ابن ستين سنة[٢].وصلي عليه من الغد، بعد صلاة الظهر بالجامع الأموي[٣]، ثم بجامع جراح[٤]، وقد ازدحم الناس على تشييع جنازته[٥].قال ابن كثير – رحمه الله –: "وقد**

---

(١) وهو أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي بكر ، ولد سنة (٦٩٣هـ) ، وكان إماماً قدوةً ، سمع الحديث ، وذكره ابن رجب في مشيخته ، توفي ليلة الأحد ثامن من ذي الحجة سنة (٧٦٩هـ) ، وله (٧٦) سنة. انظر :شذرات الذهب : ٢١٦/٦ ، الدرر الكامنة : ٦٣٦/٢.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات : ١٩٥/٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٦/٥.

(٣) الجامع الأموي: هو أعظم جوامع دمشق ولا يزال معمورًا، اختلف في تاريخ بناءه فقيل في زمن الوليد بن عبدالملك سنة (٩٦هـ) ، وقيل غير ذلك، انظر: "منادمة الأطلال" : ص٣٥٧.

(٤) جامع جراح: نسبة إلى جراح المضحي الذي جدد بناءه، ويقع خارج الباب الصفير بدمشق، انظر: "منادمة الأطلال" : ٣٧١.

(٥) انظر: الوافي بالوفيات : ١٩٥/٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٦/٥ ، البداية والنهاية : ٢٣٥/١٤ ، شذرات الذهب : ١٧٠/٦.

كانت جنازته حافلةً – رحمه الله –، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه"[1].

الفرع الثاني: مكانته العلمية وهل مارس القضاء:

لقد أوتي ابن القيم – رحمه الله – ألمعية نادرة، وذكاءً مفرطًا، وأخلاقًا كريمة؛ فقد أجمع من ترجم له على أنه كان حسن الخلق، لطيف المعاشرة، طيب السريرة، عالي الهمة، ثابت الجنان، واسع الأفق، معدودًا من الأكابر في السمت والصلاح والعلم والفضائل والتهجد والتعبد.

يقول صاحبُه وتلميذه ابن كثير[2] – رحمه الله –: "لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدًّا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك – رحمه الله تعالى –"[3].

وقد كان له رغبة صادقة في طلب العلم، والجلد العظيم في البحث والمناظرة، والحرية في التلقي من الشيوخ من الحنابلة وغيرهم، والتفاني في سبيل العلم منذ نعومة أظفاره.

---

(١) البداية والنهاية : ١٤/٢٧٠.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصراوي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصري الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق (٧٧٤هـ)، تناقل الناس تصانيفه في حياته، انظر: تذكرة الحفاظ : ٤/٢٠١ ، الأعلام للزركلي : ١/٣٢٠.

(٣) انظر : البداية والنهاية : ١٤/٢٧٠.

وكان ابن قيّم الجوزية –رحمه الله– مُغرمًا بجمع الكتب، وهذا دليلُ الرَّغبة الصّادقة للعلم بحثًا وتصنيفًا، وقراءةً وإقراءً يظهر ذلك في غزارة المادة العلمية في مؤلفاته، والقدرة العجيبة على حشد الأدلة.

وقد وصف تلاميذه –رحمهم الله– مكتبته فأجادوا:

قال ابن رجب: "وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره"(١).

وقال ابن كثير –رحمه الله–: "واقتنى من الكتب ما لم لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْرِه من كتب السلف والخلف"(٢). وقد انبرى للطلب في سن مبكرة؛ فقد أخذ عن شيخه الشهاب العابر(٣) – رحمه الله – المتوفى سنة (٦٩٧هـ)، فيكون على هذا بدأ السماع وعمره سبع سنين، أو أقل.

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٤/٥ ، التاج المكلل : ٤١٠/١.

(٢) المرجع السابق..

(٣) الشهاب العابر، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي، شهاب الدين عابر الرؤيا، سمع الكثير وروى الحديث، وكان عجبًا في تفسير المنامات، وله فيه اليد الطولى، وله تصنيف فيه، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، توفي في ذي القعدة سنة ٦٩٧هـ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله، انظر: "المعجم المختص بالمحدثين"، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق بالطائف، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٢٧/١ ، "البداية والنهاية" : ٤١٨/١٣، "ذيل طبقات الحنابلة" : ٢٨٨/٤.

ودرس ألفية ابن مالك[1] في النحو – وهي للمتمكنين في النحو – على أبي الفتح البعلبكي[2]، المتوفى سنة (٧٠٩هـ) – رحمه الله –، أي أنه أتقن العربية ولم يتجاوز (١٩) سنة.

وقد برع في علوم جليلة كثيرة؛ فتميز في علوم الشريعة وعلوم الآلة، من أصول الدين، وعلم الكلام، والتفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والنحو، وغيرها، ناهلاً كل علم من أكبر المتفننين فيه من علماء عصره، فعلا كعبُه وفاق أقرانه، وأطبقت كلمة المترجمين له على ذلك.

---

(١) هو: الإمام، جمال الدِّين، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، أبو عبدالله، الطائي، الجيَّاني، الشافعيّ، إمام العربيَّة والنحو المشهور، وصاحب "ألفيَّة" النحو الشهيرة، وأصلها "الكافية الشافية" في نحو ثلاثة آلاف بيت، وله أيضًا: "لامية الأفعال"، و"تسهيل الفوائد"، و"شواهد التوضيح"، وغيرها. وُلِدَ بجيَّان بالأندلس، وانتقلَ إلى دمشق وتُوفِّي بها سنة ٦٧٢هـ. انظر: "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بلبنان : ١/ ١٣٠ ، و"الأعلام" للزركلي : ٦/ ٢٣٣.

(٢) الشيخ شمس الدين ابن أبي الفتح، محمد بن أبي الفتح ابن أبي الفضل ابن بركات، الإمام العلامة المفتي المحدث المتقن النحوي البارع، شمس الدين أبو عبد الله، شيخ العربية، البعلي الحنبلي، ولد سنة خمس وأربعين وست مائة، وكان إمامًا متعبدًا من يومه متواضعًا، ريض الأخلاق، وكان جيد الخبرة بألفاظ الحديث، مشاركًا في رجاله، توفي بمصر بالمنصورية ودفن، بمقبرة الحافظ عبد الغني سنة ٧٠٩هـ، انظر: "الوافي بالوفيات" : ٤/ ٢٢٤.

يقول ابن رجب[١] – رحمه الله –: "وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين[٢] وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا بالتفسير لا يُجارَى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحَق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وتعلَّم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالمًا بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى"[٣].

ويمكننا تلخيص أبرز الأعمال التي قام بها ابن القيِّم وتولاَّها في حياته، والت يتبرز شيئاً من مكانته العلمية ، فيما يأتي:

أولاً: إمامته للجوزيِّة: فقد ذكر عامة المترجمين له إمامته للجوزية[٤].

ثانياً: التدريس: فقد تصدَّر للتدريس، وتتلمذ عليه جمع غفير من العلماء الكبار، وسيأتي ذكر أبرزهم[٥]،

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، واسمه عبد الرحمن بن الحسن ابن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشيخ المحدث الحافظ زين الدين، ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ٧٠٦، وقدم دمشق مع والده فسمع معه، وصنف "شرح الترمذي"، وقطعة من البخاري، و"ذيل طبقات الحنابلة"، وخرج لنفسه مشيخة مفيدة، ومات في شهر رجب سنة ٧٩٥هـ. انظر: "المقصد الأرشد" : ٨١/٢.

(٢) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –.

(٣) انظر : "ذيل طبقات الحنابلة" : ١٧١/٥ ، البدر الطالع : ١٤٣/٢.

(٤) انظر: "البداية والنهاية" : ٢٣٥/١٤ ، ٢٧٠/١٤.

(٥) انظر: ص ١٤٥.

وقد درس في المدرسة الصدرية[1]، وفي الجوامع والمدارس.

ثالثاً: تصدِّيه للإفتاء والمناظرة: كان زمن الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – مملوء بالخلاف العقدي، والاختلاف المذهبي، وكان التعصب مشتعلاً حينها، فانطلق ابن القيم – رحمه الله – يناقش ويناظر ويجادل بالحق، ويكشف الغطاء عن أنوار الكتاب والسنة وينشرها.

ولم أجد في سيرته –رحمه الله– أنه ولي القضاء،حيث كانت حياته بين تعلم وتعليم، وتأليف وبحث ومناظره، فرحمه الله رحمة واسعة.

وأما مذهب ابن القيم – رحمه الله – فقد وُصِفَ في ترجمته بـ "الحنبلي"، والحقُّ أنه – وإنْ وُصِفَ بذلك – إلا أنه لم يكن ليترك الدليل لمخالفة المذهب، فهو الثائر على التقليد، والمندِّد بالمقلدين، والذي ينعى عليهم حظهم من العلم.

وقد بسط الحديث عن الاجتهاد والتقليد في كتابه إعلام الموقعين[2].

وقال عن نفسه: "وكثيرًا ما تَرِد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه، ونقول: هذا هو الصواب، وهو أولى أن يؤخذ به، وبالله التوفيق"[3].

---

(١) المدرسة الصدرية: مدرسة حنبلية، واقفها صدر الدين ابن منجّا (ت٦٥٧هـ)، أوقفها على الحنابلة، ودُفِنَ بها انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (٦٧/٢)، ومنادمة الأطلال : ص ٢٣٩.

(٢) انظر: إعلام الموقعين، المجلد السادس كاملًا ، دار ابن الجوزي ، تحقيق مشهور.

(٣) انظر : إعلام الموقعين : ٧٤/٦.

الفرع الثالث: أهم شيوخه وتلاميذه ومصنفاته.

عند الحديث عن مثل هذا العالم الجليل، والذي قضى حياته في العلم والتعليم، يعجز عن حصر من كانوا حوله من شيوخ وتلاميذ، ولكن سأقتصر – بإذن الله – على أهمهم، وكما قيل يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

أولاً: شيوخه:

لقد اهتم المترجمون لابن القيم – رحمه الله – بذكر شيوخه والعلماء الذين أخذ عنهم، وقد ذكر هو جملةً منهم في كتبه ونقولاته.

وسنذكر في هذا المقام جملة منهم على سبيل الإيجاز؛ إذ ليس من المناسب للاختصار ذكرهم جميعًا:

١. والده أبو بكر بن أيوب[١]، وقد ذكره جملة من المترجمين من شيوخه[٢].

٢. الشهاب العابر أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن نعمة[٣].

٣. محمد شمس الدين أبو عبدالله بن أبي الفتح البعلبكي[٤].

٤. أبو بكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبدالدائم[٥].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات: ١٩٥/٢ ، البدر الطالع: ١٤٣/٢.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أبو بكر بن مسند الشام، المحدث الإمام، زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، الصالح الخاشع المعمر، مسند الشام، ولد بكفر بطنا، إذ والده خطيب بها في سنة خمس أو ست وعشرين وست مائة، وكان ذا همة وجلادة وسعي في طلب الرزق، ولذلك فلقبوه بالمحتال، ضعف في الآخر لذهاب بصره وثقل سمعه، وكان مليح الإصغاء صحيح الفهم، انقطع بموته جملة من المرويات، وعاش مثل سن والده، مات في رجب سنة ثماني عشرة وسبع مائة. انظر: "معجم الشيوخ الكبير للذهبي" : ٤٠٢/٢ ، "نكت الهميان في نكت العميان"،

٥. شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، النميري[١].

٦. إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء الحراني[٢].

٧. محمد القاضي بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة[٣].

٨. المزي، يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبدالرحمن، القضاعي[٤].

= صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م : ١٠٦/١ ، "الدرر الكامنة" : ٥٢٣/١.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) مجد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحراني ثم الدمشقي، الفقيه الحنبلي، شيخ المذهب في دمشق، ولد سنة خمس أو ست وأربعين وستمائة بحران، وقدم دمشق مع أهله، وتصدى للإشغال والفتوى مدة طويلة، وانتفع به خلق كثير، مع الديانة والتقوى، وضبط اللسان، والورع في المنطق وغيره واطراح التكلف في الملبس وغيره، وهو غير المجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام، توفي رحمه الله سنة ٧٢٩هـ، انظر: "ذيل طبقات الحنابلة" : ٥٣٢/٤ ، و"المقصد الأرشد": ٢٧٢/١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، بدر الدين، أبو عبد الله، الكناني الحموي، الشافعي، المفسر، ولد في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وست مائة بحماة، وقرأ بها القرآن والفقه، وانتقل إلى مصر فتفقه بها، وله مشاركة حسنة في علوم الإسلام مع دين وتعبد وتصوف وأوصاف حميدة، وأحكام محمودة، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة، انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١٣٩/٩ ، "معجم الشيوخ"، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: د. بشار عواد معروف ورائد يوسف العنبكي ، ومصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ٣٣٤/١.

(٤) يوسف، الشيخ الصالح، زكي الدين ابن عبد الرحمن بن يوسف، الإمام العلامة الحافظ الناقد المحقق المفيد، محدث الشام، جمال الدين، أبو الحجاج، القضاعي الكلبي المزي، الدمشقي، اللغوي الشافعي، ولد بظاهر حلب في سنة ٦٥٤، ونشأ بالمزة والبلد، وحفظ القرآن، ثم=

٩. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي[١].

وغيرهم من العلماء كثير[٢].

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على ابن القيم – رحمه الله – جماعة لا يمكن عدهم، وقد ذكر المترجمون له جملةً منهم، وتركوا آخرين لعدم إمكانية إحصائهم.

ولعلي في هذا الموطن أذكر جملة من تلاميذ ابن القيم – رحمه الله – الذين اشتهروا بعده وأصبحوا من العلماء والمبرزين في علومهم، وبين قومهم.

ومن أبرز هؤلاء الأعلام:

١. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي[٣].

= طلب الحديث، توفي في ثاني عشر صفر سنة ٧٤٢ شيعه خلائق وازدحموا على نعشه ودفن بمقبرة الصوفية، انظر: المعجم المختص بالمحدثين: ٢٩٩/١ ، طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٥/١٠.

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي، أعلم، أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد ونشأ في بيت المقدس، وتوفي بصالحية دمشق سنة ٧٦٣هـ، من تصانيفه كتاب الفروع، والنكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية، وأصول الفقه، الآداب الشرعية الكبرى، انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: ٥١٧/٢.

(٢) انظر: "ابن القيم: حياته آثاره موارده لبكر أبو زيد : ص ١٦١ ، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها: لجمال السيد : ١٤٥/١.

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين، أبو عبدالله، ولد بدمشق سنة (٦٧٣هـ)، وطلب الحديث وله ١٨ سنة، كان حافظًا مؤرخًا محققًا، له ما يقارب مائة مصنف، منها: سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال، توفي سنة (٧٤٨هـ)، انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٠٠/٩ ، الدرر الكامنة: ٣٣٦/٣ ، البدر الطالع: ١١٠/٢.

٢. علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي[١].
٣. ابنه برهان الدين إبراهيم[٢].
٤. إسماعيل عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير[٣].
٥. عبدالرحمن زين الدين أبو الفرج ابن رجب الحنبلي[٤].
٦. الفيروزآبادي صاحب "القاموس المحيط" ، كما قال الشوكاني: "ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة (٧٥٥هـ) فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة كابن القيم" [٥].
وغيرهم خلق كثير[٦].

ثالثاً : مؤلفاته :

وهو من أبرز ملامحه خصائصه وأعماله، إذ تميز وتألق في تصانيفه ومؤلفاته، وسطع نجمها على مدى سبعة قرون يتجاذبها الناس بالدرس والفحص والقراء والإقراء، وقد كانت محل إعجاب أنصار وخصومه على حدٍّ سواء[٧].

---

(١) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم، القاضي الإمام العلامة الفقيه، المحدث الحافظ، فخر العلماء، تقي الدين أبو الحسن السبكي ثم المصري، الشافعي، ولد القاضي الكبير زين الدين، مولده سنة ثلاث وثمانين وست مائة، وتوفي سنة ٧٥٦هـ، انظر: "طبقات الشافعية الكبرى للسبكي" :١٣٩/١٠ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٣٧/٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) انظر : البدر الطالع : ٢٨٠/٢.

(٦) انظر: "ابن القيم حياته آثاره موارده لبكر أبو زيد : ص ١٧٩ ، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها لجمال السيد : ١٩١/١.

(٧) يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: "وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف"، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١٣٩/٥.

وعن مؤلفاته يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد[1] – رحمه الله –: "إن الحديث عن تعداد مؤلفات ابن القيم – رحمه الله – على وجه الدقة والسلامة من الغلط والتكرار، أمر فيه كُلفة وعَناء؛ لأنه وقع في سردها عند عامَّة مترجميه ضروب من الوهم والغلط...لهذه الوجوه ولغيرها فقد كثر الوهم وانتشر الغلط، ونسب إلى ابن القيم ما لا تصح نسبته إليه"[2].

ولعلِّي لكثرة مؤلفات ابن القيم – رحمه الله – أقتصر في هذا الموطن بذكر جملة ممَّا وصل إلينا منها وطُبِعَ، سردًا من غير تفصيل[3]:وإليك أشهرها مرتَّبة على حروف المعجم:

١– اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

٢– أحكام أهل الذمة.

٣– إعلام الموقعين عن رب العالمين.

٤– إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

---

(١) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ولد عام ١٣٦٥هـ، درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ، وفيه واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام ٨٧هـ/ ٨٨هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسبا، وكان ترتيبه الأول، عمل في اللجنة الدائمة للإفتاء، وله مؤلفات وتصانيف نفيسة، توفي في الرياض يوم الثلاثاء ٢٨ من محرم سنة ١٤٢٩هـ.انظر ترجمة الشيخ في موقع منسوب له على الشبكة العنكبوتية: .http://s.sunnahway.net/bakrabozaid

(٢) انظر : ابن القيم حياته آثاره موارده، لبكر أبو زيد : ص١٨٥.

(٣) جمع الشيخ بكر أبو زيد مؤلفات ابن القيم في ثبت نفيس في كتابه، وذكر كل ما نسب إلى ابن القيم من كتب مع دراسة صحة ذلك من عدمه، انظر: "ابن القيم حياته آثاره موارده" لبكر أبو زيد : ص١٨٥.

٥- بدائع الفوائد.

٦- تحفة المودود في أحكام المولود.

٧- تهذيب مختصر سنن أبي داود.

٨- الجواب الكافي، وهو المسمى "الداء والدواء".

٩- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام.

١٠- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١١- حكم تارك الصلاة.

١٢- الرسالة التبوكية.

١٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٤- الروح.

١٥- زاد المعاد في هدي خير العباد.

١٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

١٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

١٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين.

١٩- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

٢٠- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

٢١- الفروسية.

٢٢- الفوائد.

٢٣- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، وهي "القصيدة النونية".

٢٤- الكلام على مسألة السماع.

٢٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

٢٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة.

٢٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

٢٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

٢٩- الوابل الصيب في الكلم الطيب.

وغيرها الكثير من المصنفات الجليلة في علوم شتى.

المطلب الثاني: أهمية الكتاب العلمية وعناية العلماء به:.وسنتناول هنا عرضاً لكتاب: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» من حيث:

أهمية هذا الكتاب، وما هي العناية التي أولاها العلماء بهذا الكتاب، فنقول وبالله التوفيق أن أهمية الكتاب تنبع من الآتي:

أولاً :أن العلماء -رحمهم الله- أفاضوا في الحديث عن هذا الكتاب، وأخذ عناية فائقة،حتى عنوان الكتاب، أخذ من تأليفهم حيزاً ؛ هل هو بكسر الهمز أم بفتحها؟[(١)]، ولم أرَ كبير فائدة من ذكره هنا، وما أشرت له إلا ليعلم مدى اهتمام العلماء حتى بعنوان الكتاب ؛ وليس ذاك بغريب.

ثانياً: أنه كتاب جمع بين الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة وتاريخ التشريع، والسياسة الشرعية، حثَّ فيه المؤلف على اتباع الآثار النبوية، وبيَّن فيه مصادر التشريع، وشرحَ رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - والتي تعتبر أصلاً في الإثبات والأحكام، ثم تناول المؤلف بالدراسة التفصيلية بعض المباحث الفقهية والأصولية؛ كالربا، وسد الذرائع، والحيل، والقياس، والتأويل، وشروط المفتي، وآداب الفتوى، وطلاق الثلاث، وختم الكتاب بفصول مطولة عن فتاوى النبي - صلى الله عليه وسلم - ورتَّبها على أبواب الفقه.

ثالثاً: أن المؤلف ناقش المسائل بإسهابٍ وتفصيل، واستدلالٍ وتعليل، ومناقشةٍ وبيان، وتوجيهٍ مع حسن الاختيار والترجيح، وقوة الشخصية، وتخريج

(١) انظر للتوسع: ابن قيم الجوزية لبكر أبوزيد : ص ٢١٤ ، إعلام الموقعين :تحقيق مشهور آل سلمان: ١/٧-١٢.

الأحاديث وعزوها إلى كتب السنة، وبيَّنَ المُؤَلِّف أن الصحابة كانوا يتلقون العلم مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من جاء بعدهم فاته هذا التلقِّي المباشر، ولكنْ بقي لهم ما تلقوه بالنقل الصحيح، ومن ثم كانت المكانة العظمى لحُفَّاظ الحديث، وفقهاء الإسلام، فالحُفَّاظ نقلوا إلينا الإرث النبوي، والفقهاء سعوا للاستنباط وتقرير الأحكام من تلك المشكاة، وبيَّن مَنْ كان مكثراً من الفتيا من الصحابة ومن كان مُقِلاً ومن كان متوسطاً، وبيَّن شروط الفتيا وأحكاماً هامة تتعلق بذلك.

رابعاً : أنه قد عدَّ كثير من العلماء هذا الكتاب شرحاً لرسالة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –لأبي موسى الاشعري –رضي الله عنه–[1].

خامساً: ما حظي به الكتاب من ثناء العلماء مما لا يكاد يوجد في غيره، ومن ثناء العلماء على هذا الكتاب ما ذكره الشيخ مشهور –محقق الكتاب – عن سماعه من الشيخ بكر ابو زيد –رحمه الله – نقلاً عن الشيخ ابن باز –رحمه الله – قوله : "كتاب الإسلام :"إعلام الموقعين"" [2].ويقول الشيخ رشيد رضا في المنار :"لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى"[3].

سادساً : ومما يدل على أهمية هذا الكتاب تأثر من جاء بعده به ، على اختلاف فنونهم ومشاربهم، وأخصُّ الحنابلة منهم، فإنهم أقاموا لاختياراته في كتبهم ومصنفاتهم وزنًا، وأحالوا عليها، ونقلوا منها، فقد ذكره –أعني كتاب إعلام الموقعين –صاحب الإنصاف علاء الدين المرداوي في أكثر من موضع، وكذا صاحب كشاف القناع الشيخ منصور البهوتي، وغيرهم [4].

---

(١) انظر : الفكر السامي : ٢٩٧/١ ، هامش للأستاذ عبدالعزيز المراغي في تحقيقه لكتاب "أخبار القضاة" لوكيع : ٧٣/١.

(٢) انظر : إعلام الموقعين :تحقيق مشهور آل سلمان : ٢٢٧/١.

(٣) انظر : مجلة المنار : ٧٨٦/١٢.

(٤) انظر بالتفصيل : إعلام الموقعين :تحقيق مشهور آل سلمان: ٢٢٩/١-٢٤٥

سابعاً : عناية العلماء به طباعةً ودراسة فالكتاب قد طُبِع في (٤) مجلدات عدة طبعات[١]، وطبع بتحقيق الشيخ مشهور آل سلمان في (٧) مجلدات،دار ابن الجوزي، وحققه الشيخ محمد أجمل الإصلاحي في (٦) مجلدات، وطبع بدار عالم الفوائد.

وقد جَمَعَ صديق حسن خان [٢](ت: ١٣٠٧هـ) ما أورده ابن القيم في الإعلام من أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب سمَّاه: «بلوغ السول في أقضية الرسول».

وجمع قواعده الفقهية الشيخ أبو عبدالرحمن الجزائري في كتابه "القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين " وهو رسالة علمية قدم لها الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله – وهو مطبوع في دار ابن القيم.

وبوبه موضوعياً، وقسمه الشيخ صالح شامي، في أربع مجلدات، طبعة دار القلم.

واستل منه الدكتور شمس الدين محمد أشرف ما كان فيه من الرد على المبتدعين، وجمعها في كتابه بغية الموفقين من إعلام الموقعين، مجلد احد،طبع بمطبعة الصحابة بالإمارات.

وممن اختصر هذا الكتاب الشيخ أحمد راجح في كتابه "زاد المؤمنين من كتاب إعلام الموقعين"، في مجلد واحد، طبع بدار راجح.وما زالت العناية به مستمرة لما حواه من علم غزير، وفي شتى الفنون.

---

(١) مثل : طبعة مطبعة دار الفكر (١٣٩٧هـ) بتحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، وطبعة دار الكتاب العربي (١٤١٦هـ) ، بعناية محمد المعتصم البغدادي ، وغيرهم.(وجدتها بمكتبة المسجد النبوي)

(٢) هو : محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة. انظر : الأعلام : ١٦٧/٦ ، مشاهير علماء نجد وغيرهم : ٢٧٩/١.

المطلب الثالث : منهج المؤلف في الكتاب:

لقد تميز منهج الإمام ابن القيم –رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين بما يلي:

الفرع الأول: منهجه في ترتيب الكتاب:

من عادة المؤلفين عند بداية كتبهم وفي مقدماتهم أن يبينوا الموضوع الذي هو مادة كتبهم، إلا أن ابن القيم في كتابه هذا لم يشر إلى موضوع الكتاب ومادته، لكن قد يتضح للقارئ من خلال اسم الكتاب وفصوله، أن موضوع الكتاب والله أعلم : هو الحديث عن الفتوى (أصولها –أدواتها– شروطها)، وآداب المفتي والمستفتي، وطبقات المفتين، وحرمة الفتوى على الله بدون علم، وأنه إذا ظهر النص فلا اجتهاد ولا تقليد.

أما الحديث عن فصول الكتاب، فقد قسمه ابن القيم –رحمه الله – إلى (٤١٩) فصلاً، ومن أبرزها: عندما تحدث عن المفتين من الصحابة كما في (الفصل الخامس)، والمفتين من التابعين (الفصل العاشر)، ثم تحدث عن تحريم الفتوى بغير علم (الفصل الثاني والعشرون)، وعقب بكلام الأئمة في أدوات الفتيا، وشروطها، ومن ينبغي له أن يفتي (الفصل الثالث والعشرون).وقد تكلم عن الرأي المحمود وقسمه إلى أربعة أنواع، وانتقل بعدها لشرح رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، وشرحها فقرةً فقرة.لما وصل لقول عمر بن الخطاب (الفهم الفهم)، جعله مدخلاً للحديث عن القياس، وأطال في تفصيل القياس.ثم انطلق إلى الحديث عن أمثال القرآن، ولم يطل فيه، بل ذكر مثالين أو ثلاثة.وتوالت الفصول إلى أن ختم بفصلين مهمين؛ وبهذا يكون قد جعل لكتابه خاتمتين.

الأول : قوله : (فصل : ولنختم الكتاب بفوائد تتعلق بالفتوى)، وذكر فيه سبعون فائدة.

الثاني : قوله :(فصل : ولنختم الكتاب بذكر فصول يسير قدرها، عظيم أمرها من فتاوى المفتين، ورسول رب العالمين، تكون روحاً لهذا الكتاب، ورقماً على جلة هذا التأليف)، وذكر فيها فتاوى العقيدة ، ثم ذكر فتاوى مرتبة على الأبواب الفقهية بدأ فيها بفتاوى الطهارة ثم الصلاة، وهكذا، إلى أن ختم

بفتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم، منبهاً إلى أنه بدأ بذكر فتاوى الرسول ﷺ وختم بها، وكأنه يقول لكل مفتٍ، عليك بتأمل فتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولتكن هي النبراس.

الفرع الثاني: منهجه في عرض الأدلة:

- لا يخفى على أحدٍ ممن اطلع على كتب ابن القيم –رحمه الله – تميزه في منهج عرض الادلة (الاستدلال)، حتى أصبح ميزة تتسم بها كتبه – رحمه الله–، فهو عند عرضه للمسائل يسندها بالأدلة النقلية والعقلية، مما يجعل القارئ لكتبه يطمئن قلبه، ويثلج صدره، بما يقرأ من استدلالات على أقوال أهل العلم، وما يجد من سوق للأدلة والحجج الظاهرة والقاهرة.

وما هذا الكتاب إلا لتقرير هذا الشيء، بل إنه في أكثر من موضع قرر هذا، وجعله أمراً ضرورياً للمفتي والمستدل.وشنع على الذين يعيبون ذكر الاستدلال فقال : "الفائدة الثالثة والستون : عاب بعض الناس ذكر الاستدلال في الفتوى وهذا العيب أولى بالمعيب ، بل جمال الفتوى وروحها هو الدليل، فكيف يكون ذكر كلام اللَّه ورسوله –صلى اللَّه عليه وسلم– وإجماع المسلمين وأقوال الصحابة رضوان اللَّه عليهم والقياس الصحيح عيبًا؟ وهل ذكر قول اللَّه ورسوله إلا طراز الفتاوى؟ وقول المفتي ليس بموجب للأخذ به، فإذا ذكر الدليل فقد حرم على المستفتي أَن يخالفه وبرئ هو من عهدة الفتوى بلا علم"(١)

- وعند التأمل نجد أن ابن القيم في كتابه يرتب الأدلة ويعتمد أولاً على الكتاب والسنة، ويذكر الأدلة منهما إن وجد، بل عند ذكره أدلة السنة كان يتحرى الصحيح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يقول رحمه الله تعالى :" فإن هذه الأحاديث إن كانت حقًا وجب الانقياد لها، والأخذ بما فيها، وإن لم تكن صحيحةً لم يؤخذ بشيء مما فيها،

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ٦/٢٠١.

فأما أن تُصحح ويُؤخذ بها فيما وافق قول المتبوع، وتضعف أو ترد إذا خالفت قوله، أو تؤول؛ فهذا من أعظم الخطأ والتناقض"[١]

- **ثم بعد ذلك يذكر آثار الصحابة –رضي الله عنهم– ويعلل ذلك ويذكر أنه من الرأي المحمود بقوله : " رأي أفقه الأمة، وأبَرِّ الأمة قلوبًا، وأعمقهم علمًا ، وأقلهم تكلُّفًا، وأصحهم قُصُودًا، وأكملهم فِطْرة، وأتمهم إدراكًا، وأصفاهم أذهانًا، الذين شاهدوا التنزيل، وعَرَفوا التأويل، وفَهِمُوا مقاصد الرسول؛ فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول –صلى اللَّه عليه وسلم– كنسبتهم إلى صحبته؛ والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل، فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة هم إلى قَدْرهم"[٢].**
- **ويحكي الإجماع إن وجد، يقول رحمه الله : " في تحريم الإفتاء والحكم في دين اللَّه بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص، وذكر إجماع العلماء على ذلك" [٣]، ثم بعد ذلك يستدل بالنظر والاعتبار والقياس الصحيح والمعقول، وهذا ما قرره بقوله حيث قال : " أن يكون بعد طلب عِلْم الواقعة من القرآن، فإن لم يجدها في القرآن ففي السنة، فإن لم يجدها في السنة فبما قضى به الخلفاءُ الرَّاشدون أو اثنان منهم أو واحد، فإن لم يجده، ففيما قاله واحد من الصحابة –رضي اللَّه عنهم–، فإن لم يجده اجتهد رأيه ونظر إلى أقرب ذلك من كتاب اللَّه وسنة رسوله –صلى اللَّه عليه وسلم– وأقضية أصحابه، فهذا هو الرأي الذي سَوَّغَه الصحابة واستعملوه، وأقروا بعضهم بعضًا عليه"[٤].**

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٥٢٢/٣.
(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ١٤٩/٢-١٥٠.
(٣) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٣٦/٤.
(٤) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ١٥٧/٢.

- **ولـه رحمـه الله نفـس طـوي وقـدرة عجيبـة فـي حـشد الأدلـة ومناقـشة الخـصوم يعجـز عنهـا جهابـذة العلمـاء، ومـن أمثلـة ذلـك عنـد اسـتدلاله على اعتبار سد الذرائع أتى بتسع وتسعين دليلاً، ثم قال: " ولنقتصر علـى هـذا العـدد مـن الأمثلـة الموافـق لأسـماء اللَّـه الحـسنى التـي مَـنْ أحصاها دخل الجنة ، تفاؤلًا بأنه من أحصى هذه الوجوه وعلم أنها من الدين وعمل بها دخل الجنة؛ إذ قد يكون قد اجتمع له معرفة أسماء الرب تعالى ومعرفة أحكامه، وللَّه وراء ذلك أسماء وأحكام"[1].**

واستدل على تحريم التقليد بواحد وثمانين دليلاً[2].

وفي حجية القياس بثمان وثمانين دليلاً[3]. الى غير ذلك.

الفـرع الثالـث: منهجـه فـي عـرض أقـوال العلمـاء والمـذاهب وذكـر الخـلاف الفقهي.

يمكـن تلخـيص منهجـه –رحمـه الله – فـي عرضـه لأقـوال العلمـاء والخـلاف في الآتي:

أولًا: كان حريصاً على نقل أقوال العلماء من مصادرها، كما هو واضح من نقوله من كتب أرباب المذاهب ، وكان يعزوها الى الكتب المعتمدة فيها، وينقل في كثير من الأحايين النصوص بطولها، واستقصى أدلتها واستوفاها، وعرضها عرضًا كـاملًا، دون نقـص أو تحريـف أو تجاهـل أو تزايـد فـي صـورة مفـصلة موفيـة بـالغرض المقـصود مـن حيـث الدقـة والبيـان، وبموضـوعية متناهيـة وأكثـر مـا ظهـر هذا في المسائل التي تفرد بها عن سائر فقهاء عصره.

ثانيًا: نجد من منهج ابن القيم أنه يفسح المجال واسعًا لمناقشة الأقوال، وردِّ كـل طائفـة على الأخرى، ويبـيّن مـستند كـل منهمـا، وسـبب اختلافهمـا، ويـسوق الأدلة النّقلية والعقلية لكل واحدة منهما، ويعرضها على صورة التأييد والتقوية، ويحللها كما يفهمها أصحابها وينتصرون لها، على وجه واضح، وبترتيب منطقي.

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٦٥/٥.

(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٤٦٤/٣، فما بعده.

(٣) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٥٢/٢، فما بعده.

ثالثًا: همُّ ابن القيم من ذلك إظهار الحق، ولذا ربما أبهم بعض أسماء المردود عليهم، سواء من الفقهاء بأعيانهم، أو المذاهب، ولذا اضطر في بعض الأحايين إلى بيان ما ألصق في المذاهب وهو –على التحقيق– ليس منها.

رابعًا: حرص ابن القيم في ذلك كله على الإنصاف والعدل، فقال –مثلًا– في مبحث (الحيل) بعد كلام: "ونحن نذكر ما تمسَّكتم به في تقرير الحيل، والعمل بها، ونبيّن ما فيه، متحرّين العدل والإنصاف"(١) وكان رحمه اللَّه يميل مع الدليل، ولا يقدم شيئًا عليه ، ولا يميل إلى قول مذهب أو شيخ دونه، فاسمع إليه –مثلًا– وهو يقول عن (القياس) بعد أن ذكر حجج المثبتين له والنافين: "الآن حَمِي الوطيسُ، وحميت أنوف أنصار اللَّه ورسوله لنصرِ دينه وما بعث به رسوله، وآن لحزب الحق أن لا تأخذهم في اللَّه لومةُ لائم وأن لا يتحيزوا إلى فئة معينة، وأن ينصروا اللَّه ورسوله بكل قولِ حَقٍّ قاله مَنْ قاله، ولا يكونوا من الذين يقبلون ما قالته طائفتهم وفريقهم كائنًا ما كان ويردون ما قاله منازعوهم وغير طائفتهم كائنًا ما كان؛ فهذه طريقة أهل العصبية وحميَّة أهل الجاهلية، ولعمرُ اللَّه!! إن صاحب هذه الطريقة لمضمونٌ له الذمُّ إنْ أخطأ، وغير ممدوح إنْ أصاب، الخ"

الفرع الرابع: منهجه في الاستنباط وتعليل الأحكام.

أولاً : أكد رحمه الله في مواضع كثيرة من كتابه لضرورة تبيين المأخذ والعلة من الحكم، ومما قال : " ينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه إلى المستفتي ساذجا مجردا عن دليله ومأخذه؛ فهذا لضيق عطنه وقلة بضاعته من العلم، ومن تأمل فتاوى النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي قوله حجة بنفسه رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره، ووجه مشروعيته"(٢).

ثانياً: تكلم في كثير من علل الأحكام سواء في مجال العبادات أو المعاملات، حتى إنه ليعلل الأعداد والمقدرات التي جاءت بها الشريعة. فيذكر

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ١٤١/٥.

(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٤٩/٦.

أن عدة المتوفى عنها زوجها كانت أربعة أشهر وعشرًا لأنها أولى المدد التي يعلم فيها بوجود الولد وعدمه، فكانت على وفق الحكمة والمصلحة[1].

- من أمثلة استنباطاته وتعليلاته البديعه قوله :" وأما قوله: "وأنه أباح للرجل أن يتزوج بأربع زوجات، ولم يبح للمرأة أن تتزوج بأكثر من زوج واحد" فذلك من كمال حكمة الرب تعالى وإحسانه ورحمته بخلقه ورعاية مصالحهم، ويتعالى سبحانه عن خلاف ذلك، وينزّه شرعه أن يأتيَ بغير هذا، ولو أبيح للمرأة أن تكونَ عند زوجين فأكثر لفسد العالم، وضاعت الأَنسابُ، وقتل الأزواج بعضُهُم بعضًا، وعظمت البليَّة، واشتدت الفتنة، وقامت سوقُ الحرب على ساق، وكيف يستقيم حال امرأة فيها شُركاء متشاكسون؟ وكيف يستقيم حال الشركاء فيها؟ فمجيء الشريعة بما جاءت به من خلاف هذا من أعظم الأدلة على حكمةِ الشارعِ ورحمتهِ وعنايتهِ بخلقه"[2].
- ومنه قوله :" ومن المعلوم ببدائه العقول أن التسوية في العقوبات مع تفاوت الجرائم غير مستحسن، بل منافٍ للحكمة والمصلحة؛ فإنه إن ساوى بينهم في أدنى العقوبات لم تحصل مصلحة الزجر، وإن ساوى بينها في أعظمها كان خلاف الرحمة والحكمة؛ إذ لا يليق أن يُقتل بالنظرة والقُبْلة، ويُقطع بسرقة الحبة والدينار، وكذلك التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيحٌ في الفِطرِ والعقول، وكلاهما تأباه حكمةُ الرب تعالى وعَدلُه وأحسانُه إلى خلقه"[3].

بل لا أكون مخطئاً لو زعمت أنه لا يوجد فصل أو مسألة له –رحمه الله– لا يذكر فيها حكمةً أو علةً أو استنباطاً في هذا الكتاب القيم.

الفرع الخامس: منهجه في ذكر القواعد الفقهية والأصولية والكليات القضائية:

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٩٥/٣.
(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٣٢٥/٣.
(٣) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٣٥٠/٣

لقد تنوع ذكر القواعد الفقهية والأصولية والكليات عند الإمام ابن القيم في هذا الكتاب الجليل،حتى إنها قد أفردت بالتأليف لكثرتها[1]، ويمكن ايجاز منهجه في الآتي:

١- تتميز قواعد وضوابط الإمام ابن القيِّم بشكل عام بالاختصار والإيجاز، وحسن الصياغة، وقد أطال فى بعض القواعد والضوابط لأسباب خاصة.

٢- أنها مستقاة في الغالب من نصوص الشريعة :الكتاب، السنة، الاجماع، أقوال الصحابة.

٣- مراعاتها لمصالح العباد ومنها : قاعدة: "ما حَرُم سَدًّا للذَّريعة أُبِيح للمصلحة الرَّاجحة"[2]. وقال في موضع : ومن قواعد الشرع الكلية: "لا واجب مع عَجْز، ولا حَرام مع ضَرورة"[3].

٤- تميزت قواعد الإمام ابن القيم وضوابطه ؛ بأنْ تستقل كل قاعدة أو ضابط بصيغة لا تشاركها فيها غيرُها، وقد خرج عن هذا الأصل في بعض المواطن.

٥- اتسمت بطابع التيسير والتسهيل. قاعدة: "إذا تعارضت المصلحة والمفسدة قُدِّم أرجحهما"[4]، ومنها "من فعل محظورًا ناسيًا فلا إثم عليه"[5].

٦- يلاحظ عند الإمام ابن القيم أن القاعدة أو الضابط كلَّما كانا مهمَّيْن كرَّرهما في أكثرَ من موضع؛ تنبيهًا على أهميتهما وعظم شأنهما، ومنها ما يكرره بلفظ واحد تقريباً :

---

(١) مثل : كتاب القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين ،لأبي عبدالرحمن عبدالمجيد الجزائري ، بتقديم الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله–، في مجلد ضخم بلغ ٧١١ صفحة.

(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٤٠٨/٣.

(٣) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ٢٢٧/٣.

(٤) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٠٢/٣.

(٥) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٤٤/٣.

- **قاعدة: "لا واجب مع عَجْز، ولا حرام مع ضرورة". تكرَّرت في ثلاث مواضع من كتابه[١].**
- **ضابط: "الأَصْل بقاء الطهارة". تكرَّر في موضعين من كتاب "إعلام الموقِّعين"[٢].**
- **ضابط: "خُروج البُضْع مِن مِلْك الزَّوْج مُتقَوم"، تكرَّر فى خمسة مواضعَ مِن كُتابه [٣].**
- **ضابط: "اليمين مَشْروعةٌ في جانِبِ أقْوَى المتَداعِيَين". تكرَّر في موضعين من كتابه [٤].**

ومنها ما يكرر المعنى :

- **"قاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المَصْلحتين وإن فَات أدناهُما، ودَفْعُ أعلى المفسدتين وإن وقع أدناهما"[٥]، "دفع أعلى المفسدتين وإن وقع أدناها"[٦]، و "دفع أعلى الضررين باحتمال أدناهما"[٧].**
- **قاعدة: "أحكام الدُّنيا على الظواهر، وأحكام الآخرة على السرائر"[٨]. فقد جاءتْ كذلك بألفاظ أخرى مرادفة، منها: "أحكام الدنيا على الإسلام، وأحكام الآخرة على الإيمان"[٩]، و "أحكام الرب – تعالى –**

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ٢٢٧/٣ ، ٣٦٢/٤ ، ٥١٥/٥.
(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ١٠٢/٣ ، ٣٦١/٤
(٣)انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ١٥٠/٦، ٢٥٢/٣ ، ١٩٦/٣، ٢٥٣/٣ ، ٢٥٥/٣.
(٤) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٦/١ ، ٢/ ١٨٧
(٥) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٣١/٥.
(٦) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٤٣/٦
(٧) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٠٣/٣.
(٨) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٤٥/٢.
(٩) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٥٤٢/٤.

هنالك على القصود والنيَّات، وأحكامه في هذه الدار على ظاهر الأقوال والحركات"[١].

٧- الأصل في قواعد الإمام ابن القيم وضوابطه الجزم والتقرير، لا التردد وبيانه منهجه في هذا كالتالي :يمكن تقسيم القواعد والضوابط عند ابن القيم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

- **القسم الأول: قواعد وضوابط تقريرية جازمة: وهذا هو الأصل عنده، فمعظم القواعد والضوابط الواردة عند ابن القيم – مَصُوغة صياغةً خبَريةً جازمةً، لا تردُّدَ فيها.**
- **القسم الثاني: قواعد وضوابط استفهامية مترددة: وهي نادرة مقارَنةً بسابقتها، ويمكن تقسيمها إلى نوعين: ما رَجَّح فيها أحَدَ الوجهين: وهى تلك القواعد والضوابط التى صاغها ابن القيم صياغةً استفهامية، ثم رجَّح أحد الوجهين؛ إما في نفس الموضع الذي ذكَر فيه القاعدة أو الضابط، أو فى موضع آخَر من كتابه**

ومن أمثلة ذلك:

- **قاعدة: "خروج البُضْع من يد الزوج هل هو متقوَّم أو لا؟"[٢]، رجَّح ابن القيم فى موضع آخر أنه متقوَّم، وصاغ القاعدة صياغةً جازمة، لا تردُّد فيها[٣].**
- **ضابط: "صدقة الفطر التى يجب أداؤها عن الغير هل تجب ابتداءً أو تحمُّلاً؟"[٤]، حَكى الخلاف في المسألة على قولَيْن، وذكر ما يترتب على هذا الخلاف، ولم يرجح[٥].**

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٢١/١.
(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ١٥٠/٦.
(٣) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢٥٢/٣.
(٤) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور : ٢١٨/٣.
(٥) المرجع السابق.

٨- استقل الإمام ابن القيم عن بقيَّة علماء القواعد بقواعد وضوابط فقهية كثيرة، وهذه القواعد والضوابط منها ما لا يوجد عند غيره، ومنها ما يُوجَد عند غيره بألفاظ أخرى.، ومنها :"مَن أُبِيح له لُبس الحرير أُبيح له افتراشه، ومَن حَرُم عليه حَرم عليه"(١)وقاعدة: "الأصل في العبادات البُطْلان، والأصل في العُقود والمعاملات الصِّحَّة"(٢).

الفرع السادس: منهجه في ذكر التطبيقات القضائية :

المطلب الرابع: أبرز ما امتاز به الكتاب: من الأمور الكثيرة التي تميز بها هذا الكتاب :

١. يعتبر من أجل مؤلفات ابن القيم وأهمها.

٢. أول كتاب من نوعه في أصول التشريع وأسراره، وبيان مذاهب السلف في الفتوى والاجتهاد، والتعريف بأعيان المفتين من الصحابة والتابعين.

٣. ما فيه من استقراء غرائب المسائل، ولطائف الأبواب في الفقه وأصوله.

٤. يمثل الكتاب موسوعة شاملة لاستيعابه موضوعات شتى وفوائد متعددة في الأصول وفي تاريخ الفقه ومقاصد التشريع وفي الفقه المقارن وعلل الأحكام، وقد ظهر فيها المؤلف ناقداً ومفنداً للكثير من المسائل، وأهمها: محاربة التقليد ومنع الحيل في الأحكام. وقد واجه القضية الأولى مواجهة علمية فذة وبحثها بحثاً مستفيضاً. حيث ساق إحدى وثمانين حجة من المنقول والمعقول في تأييد ما ذهب إليه من بطلان التقليد الذي ربطه بثلاثة أنواع. وقد سلك المؤلف في طرحه لأشكاله التقليد بينهما علمياً منطلقاً في بحثه من قواعد شاملة في الفكر الإسلامي، الذي يراعي الإرادة الإنسانية وحرية الفكر والرأي وأخلاقية القرار الإنساني.

---

(١) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ٤/٢٠٣.

(٢) انظر : إعلام الموقعين ،تحقيق مشهور: ٣/١٠٧.

الخاتمة :

تناول هذا البحث أدب القضاء عند الحنابلة وكتاب اعلام الموقعين و ابن القيم في كتابه هذا لم يشر إلى موضوع الكتاب ومادته، لكن يتضح من خلال اسم الكتاب وفصوله، أن موضوع الكتاب والله أعلم : هو الحديث عن الفتوى (أصولها –أدواتها–شروطها)، وآداب المفتي والمستفتي، وطبقات المفتين، وحرمة الفتوى على الله بدون علم، وأنه إذا ظهر النص فلا اجتهاد ولا تقليد .أما الحديث عن فصول الكتاب، فقد قسمه ابن القيم –رحمه الله – إلى (٤١٩) فصلاً، ومن أبرزها: عندما تحدث عن المفتين من الصحابة كما في (الفصل الخامس)، والمفتين من التابعين (الفصل العاشر)، ثم تحدث عن تحريم الفتوى بغير علم (الفصل الثاني والعشرون)، وعقب بكلام الأئمة في أدوات الفتيا، وشروطها، ومن ينبغي له أن يفتي (الفصل الثالث والعشرون) .وقد تكلم عن الرأي المحمود وقسمه إلى أربعة أنواع، وانتقل بعدها لشرح رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، وشرحها فقرةً فقرة.لما وصل لقول عمر بن الخطاب (الفهم الفهم)، جعله مدخلاً للحديث عن القياس، وأطال في تفصيل القياس.ثم انطلق إلى الحديث عن أمثال القرآن، ولم يطل فيه، بل ذكر مثالين أو ثلاثة . و تميزه في منهج عرض الادلة (الاستدلال)، حتى أصبح ميزة تتسم بها كتب ابن قيم –رحمه الله–، فهو عند عرضه للمسائل يسندها بالأدلة النقلية والعقلية، مما يجعل القارئ لكتبه يطمئن قلبه، ويثلج صدره، بما يقرأ من استدلالات على أقوال أهل العلم، وما يجد من سوق للأدلة والحجج الظاهرة والقاهرة .وما هذا الكتاب إلا لتقرير هذا الشيء، بل إنه في أكثر من موضع قرر هذا، وجعله أمراً ضرورياً للمفتي والمستدل .فجمال الفتوى وروحها هو الدليل، بذكر كلام اللَّه ورسوله –صلى اللَّه عليه وسلم– وإجماع المسلمين وأقوال الصحابة رضوان اللَّه عليهم والقياس الصحيح ويعتبر من أجل مؤلفات ابن القيم وأهمها.أول كتاب من نوعه في أصول التشريع وأسراره، وبيان مذاهب السلف في الفتوى والاجتهاد، والتعريف بأعيان المفتين من الصحابة والتابعين.

المراجع :

- ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها ، جمال بن محمد السيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م
- ابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده ، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٣هـ،
- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية ، دار ابن الجوزي ، تحقيق مشهور آل سلمان
- أعيان العصر وأعوان النصر ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: د. علي أبو زيد وآخرين، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط١، ١٤١٨هـ
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المِرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، بتحقيق الدكتور عبدالله التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بلبنان
- تاريخ القضاء في الإسلام ، لمحمود بن محمد عرنوس ، المكتبة الأزهرية للتراث ، الجزيرة للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م :٦، المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب ، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ) ، دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ :١ /٤٤١.

- ترجمة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد في موقع منسوب له على الشبكة العنكبوتية: http://s.sunnahway.net/bakrabozaid.
- الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت،
- الفتح الجلي في القضاء الحنبلي ، لمحمد جميل الشطي ، دار المقتبس ١٤٣٦هـ ، دمشق –بيروت : ص٧٦.
- القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين ،لأبي عبدالرحمن عبدالمجيد الجزائري ، بتقديم الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله–،
- مختصر طبقات الحنابلة ، للشيخ محمد جميل البغدادي المعروف بابن الشطي ، دراسة فواز الزمرلي ، دار الكتاب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، بيروت :ص١١٠.
- معجم الشيوخ الكبير للذهبي" : ٤٠٢/٢ ، "نكت الهميان في نكت العميان"، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م :
- معجم الشيوخ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: د. بشار عواد معروف ورائد يوسف العنبكي ، ومصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط١، ٢٠٠٤م

- المعجم المختص بالمحدثين"، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق بالطائف، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م:
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : ٣٤٨/٢ ، "طبقات المفسرين"، محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية ببيروت ،
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ٢٢٧/١.
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل [من سنة ٩٠١ - ١٢٠٧ هـ] ، لمحمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري (ت: ١٢١٤ هـ) ، تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ - نزار أباظة ، دار الفكر، دمشق — سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢
- الوفيات ، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس ود. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٢هـ،